(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران:١٣٠-١٣٦]

الشيخ: لا إله إلَّا الله.

يقولُ -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} هذه إحدى الآياتِ الَّتي تضمَّنَتْ تحريمَ الرِّبا، وقد جاءَ تحريمُ الرِّبا في مواضعَ، في سورةِ الروم {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} [الروم:٣٩]، وفي هذه الآيةِ، وفي البقرةِ عدَّةُ آياتٍ {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ..} [البقرة:٢٧٥]، {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا..} [البقرة:٢٧٦]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا..} [البقرة:٢٧٨]، الآياتِ.

والرِّبا معاملةٌ يعني بيَّنتْهُ السُّنَّةُ، الرِّبا في الآياتِ يعني مُجمَلٌ، وربا الجاهليَّةِ المعروفُ هو الزِّيادةُ في الدَّينِ في مقابلِ الزِّيادةِ في الأجلِ، في مقابلِ الزيادةِ في الدَّينِ، يقولُ الدائنُ للمدينِ: إمَّا أنْ تقضيَ الدَّينَ إذا حلَّ، إمَّا أن تقضيَ وإمَّا أنْ تُربيَ تزيدَ، إذا كانَ الدَّينُ مؤجَّلًا إلى سنةٍ ثمَّ حلَّ الدَّينُ وليسَ عندَهُ وفاءٌ يقولُ: أزيدُكَ سنةً بزيادةِ كذا، وهو الجاري الآنَ في البنوكِ، إذا تأخَّرَ المدينُ زادُوا عليه فيما يسمُّونه من فوائد يزيدونَ عليه، فهذا هو أسوأُ أنواعِ الرِّبا.

ومن الرِّبا ربا الفضلِ، وهذا الأوَّلُ يُسمَّى ربا النَّساءِ أو ربا النَّسيئةِ، في الحديثِ: (إنَّما الرِّبا في النَّسيئةِ)، والرِّبا الآخرُ ربا الفضلِ، وهو بيعُ أجناسٍ معيَّنةٍ بمثلِها، كالذَّهبِ والفضَّةِ والبُرِّ والشَّعيرِ والتَّمرِ، فلا يجوزُ بيعُ شيءٍ منها بجنسِهِ إلَّا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ.

قالَ -تعالى-: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا..} في هذه الآيةِ الأمرُ بالمسارعةِ، المسارعةُ معناها الإسراعُ والتنافسُ في السرعةِ إلى الخيرِ، كما قالَ تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [الحديد:٢١]، والسِّباقُ والمسارعةُ إلى مغفرةِ اللهِ وجنَّتِهِ يكونُ بالسِّباقِ إلى أسبابِ ذلك، أسبابُ المغفرةِ والتوبةِ والاستغفارِ

وفعلِ الطاعاتِ، واستدلَّ بالآيةِ بمثل هذه الآيةِ على أنَّ أفضلَ الصلاةِ الصلاةُ في أوَّلِ وقتِها، لأنَّ ذلك يتضمَّنُ المسارعةَ إلى أداءِ ما أوجبَ اللهُ، قالَ تعالى في الجنَّةِ {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، هذهِ الجنَّةُ أُعِدَّتْ لأولياءِ اللهِ، وهيَ موجودةٌ، كما قالَ في النَّارِ: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}، فالجنَّةُ والنارُ موجودتانِ، فالنارُ {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}، والجنَّةُ {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}.

ثمَّ ذكرَ اللهُ بعضَ أوصافِ المتَّقينَ، مِن الإنفاقِ والعفوِ والإحسانِ والتوبةِ والاستغفارِ، وفي ذكرِ هذه الخصالِ والثناءِ بها على المتَّقين ندبٌ إليها، ندبُ العبادِ إليها، فعلى المسلمِ أن يتحلَّى بهذه الخصالِ لعلَّه ينالُ تلك الدرجاتِ، ومن أفضلِ الخصالِ التوبةُ والندمُ والاستغفارُ، {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، فهؤلاءِ جزاؤُهم عندَ اللهِ أن يغفرَ لهم وأن يُدخِلَهم الجنَّةَ، فيؤَمِّنَهُم ممَّا يخافونَ ويحقِّقَ لهم ما يريدونَ، {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}.